

الحركة التجارية بين إقليم توات والسودان الغربي خلال القرنين 18-19م

الطالب الباحث: حامد ملين ابراهيم

طالب دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة غرداية

شكّلت قوافل التجارة العابرة للصحراء شريان الحياة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية بين إقليمي توات والسودان الغربي. لأن الحركة التجارية هي التي عكست مدى عمق النشاط الاقتصادي بين مجالي الدراسة، كما كان لموقع توات الاستراتيجي مكانة هامة ساعدت في ربط مسالك التجارة الصحراوية ، حيث أصبح حلقة وصل بين ضفتي الصحراء الكبرى⁽¹⁾. و لهذا كانت التجارة إحدى الأسباب الرئيسية في الصراعات السياسية و الحروب و الهجرات. كما كان تنظيم القوافل والتحكم في الطرق التجارية واستقطابها غنيمة تتنازع عليها جماعات البدو، لما تدرّه من أرباح و رسوم و وفرة للسلع و الغذاء.

1- الموقع الجغرافي لإقليمي توات والسودان الغربي:

أ- إقليم توات:

يقع إقليم توات في الجنوب الغربي من الجزائر، وهو جزء من الصحراء الكبرى الممتدة على عرض إفريقيا الشمالية، يضم ثلاث مناطق كبرى وهي: تيجورارين (قورارة)، توات، تيديكلت، و يحد الإقليم من الشمال الغربي العرق الغربي الكبير و واد الساورة، و من الغرب عرق شاش و واد مسعود، و من الجنوب صحراء تنزروفت وهضبة مويدر، ومن الشرق والشمال العرق الشرقي

1- محمد الصالح حوتية : آل كتنه دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة ق18-19م، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2008 م ، ص ص 102-103.

وهضبة تادمايت. أما فلكيا فيقع الإقليم بين خطي طول 01° شرقا و 03° غربا، وبين دائرتي عرض 20° إلى 30° شمالا، وبالتالي فإن خط غريتش و دائرة مدار السرطان يتقاطعان بإقليم توات⁽¹⁾.

وقد حدد المؤرخ المحلي محمد بن عبد الكريم⁽²⁾ أبعاد الإقليم بالنسبة للأقاليم المحاذية له... "بينها وبين سجللماسة ثلاثة عشر يوما، وغربا عشرون يوما لأول السودان، ومن غدامس عشرون يوما، ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقا و من ناحية أولاد عيسى مقدار أسبوع إسراعا لبلد الأبيض سيد الشيخ..." ويتوزع الإقليم على ثلاثة مناطق من الشمال إلى الجنوب و هي: تيجورارين ، وتوات، وتديكلت.

ب- السودان الغربي: تقع أراضي بلاد السودان ما بين دائرتي عرض: 04° و 16° درجة شمال خط الاستواء في الجنوب وخطي طول: 13° و 17° درجة غرب خطي غريتش، و يحدها من الشمال الصحراء الكبرى، و من الشرق الكامرون و بحيرة تشاد، و من الجنوب خليج غينيا بالمحيط الأطلسي، و من الغرب المحيط الأطلسي⁽³⁾. وينقسم بلاد السودان إلى ثلاثة أقسام وهي:

- **السودان الشرقي:** و هو يشمل مناطق النيل و روافده جنوب بلاد النوبة.

- **السودان الأوسط:** و يشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد.

- الهوامش:

- 1 - مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال ق 12هـ ، دار السبيل ، الجزائر، ط1، 2009م، ص 32.
- 2 - محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري: درة الأفلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة أولاد القاضي البكرية، تمنطيط، أدرار، الجزائر، الورقة 101 و.
- 3 - محمد فاضل علي باري و سعيد إبراهيم: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ و حضارة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2007م، ص ص 19-20.

- السودان الغربي: و هو يشمل حوض السنغال و غامبيا و بوركنافاسو (فلتا العليا) و النيجر الأوسط⁽¹⁾.

وموضع الدراسة هو القسم الأخير من بلاد السودان، ويسمى أيضا إفريقيا الغربية و بلاد التكرور.

2- المسالك التي تربط توات بالسودان الغربي والأسواق المتمركزة بها.

ترتبط توات بالأسواق الشمالية للجزائر، والمغرب الأقصى، وجنوب تونس، و طرابلس، ثم غدامس و غات، وكل هذه الأسواق ترتبط مع أسواق توات عبر مسالك و طرق من ناحية تيجورارين (قورارة) أو ناحية تديكلت بعين صالح⁽²⁾، وبعد اجتماع القوافل بإقليم توات تتفرع هذه القوافل في مسالك و طرق متعددة، تربط توات بأسواق و حواضر السودان الغربي.

أ- مسالك القوافل التجارية بين توات والسودان الغربي:

أبرز هذه الطرق التجارية التي تربط إقليم توات مع أسواق السودان الغربي هي:

- طريق توات تنبكتو عبر رقان: و ينطلق من رقان نحو حاسي حسدة ثم حاسي البوز ثم حاسي الملح، ثم رقلة، ثم تنصر، ثم صبطي، ثم طرفية، ثم تدقوير، ثم تليق، ثم تاودسي، ثم تمبكتو.

- طريق توات قاو: و ينطلق من أقلي جنوب توات ثم مراقن، ثم والن، ثم صحراء تانزروفت، ثم البرج، ثم حاسي باكتليس، ثم تساليت، ثم اقلهوك، ثم

1 - عبد القادر زبادية: الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات نصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989م، ص 11.

2 - المرجع نفسه، ص 111.

أنافيق، ثم تبرشات، ثم تنكورت، ثم تنقارا، ثم قاو، و في والن يخرج منه طريق فرعي آخر نحو الأربعمائه، ثم تجنون، ثم أشواردشبي، ثم أنافيس، ثم أماهور.

- طريق توات عبر أقبلي: ازدهر هذا الطريق خلال القرن التاسع عشر، حيث ينطلق من أقبلي ثم تين تني، ثم والن وبعد أيام تدخل القافلة صحراء تنزروفت؛ وهي صحراء قاحلة منبسطة ثم تصل إلى انغان ثم المبروك، ثم المامون، ثم بوجبيهة، ثم أروان، وهي محطة رئيسية للقوافل، ثم وأعوازن، ثم تصل القافلة بعدها إلى تنبكتو.

- طريق عين صالح تنبكتو: وينطلق هذا الطريق من تديكلت بعين صالح، ثم إينغر، تيط، أقبلي، زاوية حينون بأولف، المالح، ثم عين الشبي، تمادنانين، و هذه آخر نقطة في توات ثم بعدها يأتي حاسي تيايين، ثم والن، صحراء تنزروفت، عين زنان، لمبروك، المامون، بوجبيهة، تنبكتو، و من المامون تذهب بعض القوافل إلى أروان ثم إلى تنبكتو.⁽¹⁾

- طريق توات قاو عن طريق الهقار: وينطلق ها الطريق من عين صالح بتوات ثم الهقار، ثم غات، كاهر، قاو، و قد ورد هذا الطريق في رحلة ابن بطوطة حيث أخذ هذا الطريق راجعا من قاو إلى توات⁽²⁾.

1 - مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ / 19م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2013-2014م، ص 333.

2 - ابن بطوطة محمد بن عبد الله: رحلة ابن بطوطة: تحفة النظر في غريب الأمصار و عجائب الأسفار، تح. محمد عبد المنعم العريان، راجعه مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 1987 م، ص ص 406، 407.

- طريق غدامس تنبكتو عبر توات: تنطلق من غدامس، تنغين، ثم البيده، لمسقم، زرابية، أرسالن، عين صالح بتوات، و من هنا يتصل بطريق توات تنبكتو. (1).

عرف طريق غدامس تنبكتو حركية كبيرة، بعد احتلال الفرنسيين للشمال الجزائري؛ لأن القوافل دائما كانت تتعد عن الفرنسيين و لهذا عرف الطريق الرابط بين توات و تنبكتو المتجه نحو الجزائر تراجعا كبيرا لصالح الطريق الشرقي المتجه من تنبكتو إلى غدامس عبر توات (2).

ب- أهم الأسواق و مراكز التبادل التجاري في بلاد السودان الغربي:

- تنبكتو: كانت مدينة تنبكتو من تأسيسها سوقا تجاريا يلتقي فيها تجار الشمال مع الجنوب، كما شكلت مستودعا للبضائع الرئيسية في غرب إفريقيا و ساهم في ذلك موقعها الاستراتيجي وسط الصحراء، كونها يلتقي بها تجار الشمال مع الجنوب، و الشرق مع الغرب (3). تغطي مدينة تنبكتو بموقعها النهري على نهر النيجر المطل على المحيط الأطلسي، و بذلك تكون البلدة الوحيدة التي تتحكم في الطرق البرية النهرية التي تفد إليها من مصر، و المغرب و طرابلس عن طريق الصحراء، و من أوروبا عن طريق المحيط ثم النهر، وقد أطلق عليها الأوروبيون المدينة عزيزة المنال غامضة الأسرار لا تتجاوزها في تراثها و جمالها أي بلد إفريقي

1 - مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ / 19م، المرجع السابق، ص 333.

2 - س. باير: الصحراء الكبرى في القرن التاسع عشر، تاريخ إفريقيا العام، ج 6، إصدار منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم، باريس، طباعة حسيب درغام وأولاده، لبنان، ط 1، 1996م، ص 597.

3 - جعفري مبارك: الحياة الاجتماعية و الثقافية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ / 19م، ص 335.

آخر في ذهبها أو ملحها، و قد وصفها أبنائها أيضا بأنها خير البلاد و لا نظير لها تعيش في حرية وأمن ورفاهية⁽¹⁾.

يقوم سكان تنبكتو بتدبير الإقامة المجانية للضيوف، و لأي تاجر غريب مدة ثلاثة أيام و يعامل معاملة حسنة و راقية، و في اليوم الرابع يدلّه المضيف ليستأجر احد مساكنه و يخبره أيضا بالأسعار السائدة ومدى وفرتها أو ندرتها، و يساعده في الحصول على مشترياته و سكانها لا يقومون بأي عمل، فهم ليسوا مصدرين و لا مستوردين، بل هم الوسطاء، و أصحاب الأرض⁽²⁾. و أشار فليكس ديوا (Dubois Flelix) أنه رأى منازل مدمرة تحتوي بداخلها مخازن و سلع و هي بغرض التمويه عن اللصوص و قطاع الطرق، و في إحداها ما قيمته 50 ألف فرنك من السلع⁽³⁾. و قدر حجم الأموال المتداولة في تنبكتو سنة 1313هـ/1895م 460 ألف فرنك، و قال أنها لا تمثل إلا ثلث المبلغ الحقيقي، و قد تصل إلى 20 مليون فرنك فرنسي، و تم تقسيم حجم التجارة سنة 1316هـ/1898م في تنبكتو بحوالي مليونين وسبعمائة و ستين ألف 2760000 فرنك دون احتساب تجارة الأرز الذي تعرض للفيضانات.

زار الحسن الوزان مدينة تنبكتو في أوائل القرن 16م، و ذكر أن بها دكاكين كثيرة لصناعة و تجارة الأقمشة النيلية، و القطنية و يجلب إليها التجار المغاربة

1 - محمد الصالح حوتية: توات و الأزواد، : توات و الأزواد خلال القرنين 12 و 13 هـ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج 1 ، 2007، ص ص 169-170.

2 - مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، المرجع السابق، ص 335.

3 - المرجع نفسه، ص 335.

الأقمشة من أوروبا⁽¹⁾. كما أورد الرحالة ابن بطوطة "تنبكتو في رحلته مبينا الأهمية الاقتصادية لهذا المركز الذي يربط شمال الصحراء⁽²⁾.

- مركز جاو (GAO): هي عاصمة مملكة السنغاي، تقع حاليا إلى الشمال الشرقي من العاصمة باماكو بجمهورية مالي، ورد ذكرها على لسان البكري الجغرافي حوالي 1067م، مكّن الموقع الجغرافي الاستراتيجي لجاو على منحى نهر النيجر نحو الجنوب أشرفها على حركة الملاحة، وصفها الحسن الوزان بالمدينة العظيمة ، و أضاف بأن بها قصور الملك و رؤساء دولته، و تحدث الحسن الوزان أيضا عن نشاط المدينة الاقتصادي المتمثل في كثرة الأسواق و تنوع السلع التي ترد إليها من أوروبا و بلاد البربر⁽³⁾. كانت جاو تعج بالعديد من المتاجر التي يشرف عليها تجار من جميع الأجناس و لها تجار أثرياء، و ترد إليها الأقمشة من المغرب و أوروبا. كما يوجد بها سوق للرقيق ينتعش عند قدوم التجار، و سكانها تجار متجولون في المنطقة مع بضائعهم، و يقصدها عدد لا يحصى من السود الذين يجلبون كميات كبيرة من الذهب ليشتروا بها البضائع التي يجلبها تجار الشمال⁽⁴⁾.

- جني: تقع مدينة جني إلى الجنوب الغربي من مدينة تنبكتو، و تبعد عنها بحوالي ستمائة كيلومتر تقريبا، تأسست في القرن الثاني الهجري 2هـ / 623م، كانت مركزا تجاريا هاما واشتهرت بتجارتي الملح والذهب، وملتقى القوافل التجارية

1 - ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 25.

2 - الحسن الوزان: وصف إفريقيا، تر. محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ط2، 1983م، ص ص 165-166.

3 - المصدر نفسه، ص 169.

4 - محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ص 170.

التي تسير بين الشمال و الجنوب، وقد وصفها عبد الرحمان السعدي قائلاً: "...هي سوق عظيم من أسواق المسلمين وفيها يلتقي أرباب الملح"⁽¹⁾.

ويشير الحسن الوزان إلى ثرواتها الحيوانية، والسمكية والزراعية، ولاسيما القطن الذي يشتريه التجار المغاربة لتصديره إلى أوروبا مقابل أواني نحاسية وأسلحة وغيرها من سلع، كانت تنبكتو تأتيها السلع من جنبي، ويعلل السعدي ذلك بكون التجار لا يستطيعون البقاء فيها كثيراً، وهم يبيعون بسرعة و بثمان بخس ليرجعوا إلى بلدانهم⁽²⁾. ويقول لانز (lenz): أن الذهب المتداول في أروان مصدره جنبي، و هو على شكل حلقات رقيقة و خشنة وعلى شكل حبيبات صغيرة⁽³⁾.

يذكر دييوا (Debois) أن جنبي قدمت تجارة حقيقية بدلاً من نظام المقايضة البدائي بين قرية وأخرى، وفي سوق جنبي الكثير من السلع الأوروبية مثل الخرز، العنبر، المرجان، الكبريت، البنادق⁽⁴⁾. يمتلك تجار جنبي قوارب هي أشبه بالمخازن، وهي واسعة يصل طولها ما بين ثمانية عشر وعشرين متر، وعرضها حوالي ثلاثة أمتار، يستطيع أن يحمل حمولة ما بين عشرين و ثلاثين طن، ينقل بها التجار سلعهم لتنبكتو، وباقي المدن على ضفاف النهر، وفي السوق تجد الباعة من النساء والرجال والبضائع منتشرة هنا وهناك، وتُنسّقها ممرات بين الباعة و جانب من السوق يفتح على المسجد، وهناك رجال الصرافة و معهم تلال من الأصداف،

1 - عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، مطبعة هوداس، باريس، 1981م، ص ص 12، 14.

2 - المصدر نفسه، ص ص 11، 14.

3- Oskar: Tombouctou voyage au Maroc au Sahara et soudan, librairie Hachette, Paris, 1987, P 104.

4 - فيليكس دييوا: تمبكتو العجيبة، تر. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، مراجعة شوقي عطالله الجمل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 2003م، ص ص 144 - 145.

و هناك محلات الجزارين، و بائعي الأسماك. و التجارة الرئيسية في جنبي بيد العرب، و هناك ما بين ثلاثين أو أربعين تاجرا عربي يعيشون في أفضل المنازل في المدينة⁽¹⁾. و يذكر أهل السودان مقولة مفادها أن جنبي أكبر لأنها تمثل دور المنتج، أما تنبكتو فهي مستودع، و سكانها وسطاء و هم أقل ثروة من سكان جنبي⁽²⁾. و مع الشهرة التي وصلت إليها جنبي؛ لكنها لم تصل لمكانة تنبكتو من حيث الشهرة لأن القوافل القادمة من الشمال كانت تجد في تنبكتو كل ما جاءت تبحث عنه في السودان الغربي، لذلك القليل منهم من يكمل الرحلة إلى جنبي، لو كان ذلك من أجل سلع أرخص و هذا نتيجة التعب و مزيد المشقة على القوافل التي قطعت الصحراء من الشمال إلى تنبكتو⁽³⁾.

- مركز أروان: محطة تجارية رئيسية، كونها تقع مفترق الطرق للقوافل القادمة من الشمال و الذهابة لتنبكتو و جنبي، فيها مختلف السلع خاصة الملح القادم من تاودني، و الذهب الذي تصدره جنبي⁽⁴⁾. تسيطر قبائل البرابيش على الطريق الرابط بينها و بين تنبكتو⁽⁵⁾. منطقة أروان تقوم بنفس الدور الذي تقوم به توات في الشمال، فمنها يتمكن التجار من التزوّد بالمواد التجارية و الماء العذب و الكلاً لحيواناتهم، كما يأخذون قسطهم من الراحة، و يتم تبادل منتجات السودان و

1- René (Caillié): voyage d'un faux musulman a travers l'Afrique, Tombouctou, le Niger, jenné et le désert , a travers le continent noir, imprimerie, Eugene Ardant, Limoges, 1882, P 97.

2 - فليكس ديبوا: المصدر السابق، ص 148.

3 - المصدر نفسه، ص 149.

4- Oskar (lenz): Op.cit, P 104.

5- Ibid: p 135.

بضائع المغرب في سوق أروان بين القوافل التي تأتي من الجنوب و القوافل التي تأتي من غدامس و توات⁽¹⁾.

- **تاودني:** أرضها عبارة عن منجم كبير، وتعتبر أحد المراكز الأساسية لتصدير الملح في السودان الغربي خاصة لمنطقة جنوب نهر النيجر، أغلب سكانها من عمال المناجم، و يذكر بول مارتي (Paul marty) أن القوافل كانت تسير بانتظام نحو تاودني في فصل الأمطار - شهر نوفمبر- و في فصل الربيع - شهر أبريل-⁽²⁾. وأسعار السلع هناك مرتفعة مقارنة بالملح الذي تتم مقايضته بالأرز والنيلة والسمن، والسكر، و الشاي، والتمر، والغنم، ولحوم الثيران المجففة⁽³⁾.

- **المبروك:** هو أول محطة تجارية و سوق تجاري كبير للقوافل القادمة من توات، ينشط بها تجار من قبيلة كتته⁽⁴⁾.

- **بوجييه:** هي مركز تجاري تمر عبره القوافل القادمة من وإلى تنبكتو، ويتم فيه تبادل الملح، والحبوب والأقمشة⁽⁵⁾.

2- أهم المبادلات التجارية بين إقليم توات والسودان الغربي.

أ- واردات إقليم توات من السودان الغربي:

- العبيد و الإماء: تقع معظم مناطق العبيد جنوب نهر النيجر، حيث يتم أسر العبيد في الحروب، أو بواسطة الشراء، أو الغارات على القبائل، و أهم المناطق

1 - محمد الصالح حوتية: توات و الأزواد، المرجع السابق، ص 168.

2 - بول مارتي: كتته الشرقيون: تع. محمد محمود وّادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، سوريا، 1985 م، ص 167.

3 - المصدر نفسه، ص 168.

4 - مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، ص 339.

5 - بول مارتي: من عرب مالي البرابيش بنو حسان، تع. محمد محمود وّادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، سوريا، د.ت، ص 94.

هي الاستانتي، و كانو، وسيغو، و سوكوتو، و فاراكو، و واغادوغو، أما أثانها فتختلف حسب السن و البنية الجسدية و الجمال⁽¹⁾. و بعد جلبهم يباعون في أسواق جنبي، و تنبكتو، و قاو؛ كونها أهم أسواق السودان الغربي.

تراجعت تجارة العبيد عبر السواحل خلال القرن 19م، خاصة بعدما ألغت بريطانيا تجارة الرق في إمبراطوريتها سنة 1246هـ / 1830م، و فرضت حصارا بحريا على إفريقيا ضد هذه التجارة فتبعته اسبانيا 1261هـ / 1835م، و البرتغال سنة 1255هـ / 1860م⁽²⁾. لكن رغم ذلك استمرت القوافل في نقل العبيد عبر الصحراء من أسواق السودان الغربي، حيث بلغت أسعار العبيد في تنبكتو سنة 1311هـ / 1894م بين 60 و 150 فرنك للكبار و من 30 إلى 50 فرنك للأطفال، و في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي كانت أثانها 60 فرنك للفتيات من 08 إلى 10 سنوات، و بين 300 فرنك للرجال، و 100 فرنك للفتيات بين 8 إلى 10 سنوات، و بين 350 فرنك و 400 فرنك للشابات، و يتضاعف هذا السعر كلما اقتربنا من أسواق الشمال، و في الجنوب الجزائري ذكر بول سوليه (Paul solliet) في تقريره سنة 1297هـ / 1880م أن حجم تجارة الرقيق في الجنوب الجزائري بلغت 1200 عبد زنجي⁽³⁾. و ذكر ديپورتر (Déporter) نقلا عن رولف (Rohlf) فيقول " أن القوافل التواتية عادة ما تعود في كل مرة و معها من 600 ألف إلى ألف و سبعمائة عبد"⁽⁴⁾، تعتبر

1 - Bissuel (H) : Le Sahara Français, conférence sur la question Sahariennes, Ed Adolphe Jourdan Librairie, Alger, 1891, p 22.

2 - مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في منطقة الأزواد، 3هـ / 19م، المرجع السابق، ص 352.

3 - غير هارد رولفس: رحلة إلى الكفرة تقارير الرحالة الألماني غير هارد رولفس، تر. عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية. ليبيا، د.ت، ص 259.

4 - Déporter (Victor): la question du Touat au Sahara Algérien, Gourara, Touat, Tidikelt, fontana, Alger 1891, p 42.

تجارة العبيد من التجارة المتعبّة، كَوْن العبيد أثناء نقلهم بحاجة إلى غذاء و حراسة، فيموت منهم حوالي 20٪ في الطريق نظرا لصعوبة و مشقة الطريق في الصحراء. و لكن مع ذلك كانت أرباحها خيالية و هي تفوق أرباح الذهب⁽¹⁾.

- الذهب: هو معدن طبيعي لونه أصفر بَرّاق و هو ألين معدن موجود في الطبيعة لأنه يمكن طرقه و هو بارد، مع أنه أنقى فلا يفسد بالنار أو تحت الأرض. كان مصدر الذهب في السودان الغربي سرا مكتوما من طرف أهله المنتجين، وأهم مصادر الذهب هي:

- منطقة البامبوك تقع بين نهر السنغال الأعلى و فرع فاليامي.

- منطقة بوري عند ملتقى نهر النيجر الأعلى بفرعه تنكيسو.

- منطقة لوبي على الفولتا العليا

- منطقة ساحل الذهب (غانا حاليا)

يذكر الإدريسي أن بلاد ونقارة هي بلاد النبر المشهور بالطيب، والكثرة وهي جزيرة طولها 300 ميل وعرضها 150 ميل، و النيل يحيط بها من كل جهة في سائر السنة، فإذا أخذ النيل في الرجوع و الجزر، أخذ كل من بلاد السودان يرحلون طول أيام رجوع النيل - نهر النيجر - إلى النهر، فيأخذ كل واحد منهم في بحثه هناك ما أعطاه الله سبحانه و كثيرا أو قليلا من التبر⁽²⁾. وبفضل استيراد الذهب من السودان الغربي، انتشر منه الكثير في إقليم توات، وكان عملة مستعملة في التجارة الداخلية و الخارجية كما كان يصنع به الحلي و يذكر رولف (Rohlf) في

1 - مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في منطقة الأزواد، 13هـ/19م، المرجع السابق، ص 354.

2 - الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المصدر السابق، ج4، ص 24.

أن القوافل التواتية نهاية القرن 19م كانت تعود و معها حوالي 50 رطلا من التبر أو الذهب⁽¹⁾.

- العاج: يؤتى به من المناطق الاستوائية قرب الأنهار، أين تكثر الفيلة و فرس النهر ووحيد القرن، و من أجود أنواع العاج عاج بورنو، وذلك لبياضه الشديد وبعده عاج الهوسا الشديد الصلابة، الذي يقدر ثمنه بحوالي نصف فرنك للكيلوغرام⁽²⁾. ويذكر رولف (Rohlf): أنه رأى قافلة تواتية قادمة من تنبكتو لها كميات من العاج⁽³⁾.

ويستعمل العاج في أدوات الزينة ومقابض السيوف، والسكاكين وبعض التحف الثمينة. تمتد تجارة العاج من أسواق توات إلى أسواق ورجلان ثم إلى أسواق الشمال في الشرق الجزائري، وهم بدورهم يصدرونه إلى الأفطار الأوروبية⁽⁴⁾.

- الأغنام: تعرف في الأسواق المحيطة بالسودان الغربي مثل توات و غدامس و ورجلان بـ(سيداون) نسبة إلى المنطقة التي أتت منها، كان الإقبال عليها كبير من طرف التجار التواتيين و ينخفض سعرها و وفرتها تبعا للظروف الطبيعية، فيرتفع ثمنها عند نزول المطر، و توفر الكلاء و يرخص ثمنها في موسم الجفاف،

1 - Deporter, Op.cit. p 42.

2 - حسين حاجوا: المرجع السابق، ص 98. ينظر: محمد العربي الزيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 168.

3 - Deporter: Op.cit. p 42.

4 - أحمد ذكار: حاضرة ورجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي من 1000-1301هـ/1833-1591م، أطروحة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أدرار، 2009-2010م، ص 37. ينظر: مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، ج2، 2007م، ص 200-201.

تجمع الغنم كبيرها وصغيرها وتباع لتجار توات جملة واحدة، ولا يقع التفريق بين ثمن الصغير والكبير، كما يشترك عدة موالين و يجمعون ماشيتهم و يبيعونها⁽¹⁾. إلى جانب الماشية يستورد تجار توات الجمال، لاستخدامها أثناء العودة لحمل البضائع و يبيع تلك التي أنهكها التعب في الصحراء، وأسعار الجمال مرتفعة جدا نظرا لأهميتها الاقتصادية وقدّر ثمن الجمل الجيد بحوالي 200 مائتي فرنك⁽²⁾.

- القديد: يأتي القديد من الأسواق السودانية إلى سوق توات، وهو عبارة عن لحم المواشي و الجمال وبعض الحيوانات البرية وحتى لحم النعام؛ حيث يجفف بطريقة تقليدية، ويستعمل في هذه العملية الملح والتوابل ويعرض لأشعة الشمس حتى يفقد جميع السوائل، ويصبح قابلا للحفظ و التخزين⁽³⁾.

- الجبن المجفف: تجلب إلى سوق توات من السودان الغربي مادة الجبن المجفف أو ما يعرف (الكَلِيلَة) وهو عبارة عن حليب للمواشي و الجمال والأبقار تمّ تجفيفه وتجفيفه بطريقة تقليدية، فيمكن الاحتفاظ به لمدة طويلة و يستعمل في تحضير بعض الأطباق في منطقة توات مثل الحساء⁽⁴⁾.

- الجلود والمصنوعات الجلدية: تُصدّر منطقة السودان الغربي الجلود والمصنوعات الجلدية بكميات كبيرة إلى منطقة توات، و منها إلى أسواق الشمال لأن المنطقة رعوية، ويتم بيع الجلود بعد دَبْغها لتصبح خفيفة الوزن، كما تصدر على شكل مواد مصنعة مثل صناعة الحقائب والأحذية، ومحافظ النقود، وأدوات تجميل المرأة، و السروج، و يغلف بها أغصان السيوف و السكاكين، و يصنع منها

1 - باي بن عمر: نوازل الشيخ باي بن عمر الكنتي، مخطوط بمكتبة الشيخ محمد باي بلعالم، أولف، أدرار، الجزائر، الورقة 491 و.

2 - Oskar (lenz): Op.cit, p 103.

3 - بول مارتى: كتبه الشريون، تع. محمد محمود و دادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، سوريا، 1985م، ص 168.

4 - بوعزيز يحيى: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 46-47.

المزود⁽¹⁾. إلى جانب جلود الماشية والبقر والإبل هناك جلود الحيوانات المفترسة، وبعض الزواحف مثل النمر والأسود والأفاعي والعظايا وغيرها⁽²⁾.

- التوابل و الأعشاب الطبيعية: تنمو في السودان الغربي أصناف عديدة من التوابل والنباتات الطبية، التي يكثر عليها الطلب من طرف تجار توات لأهميتها الطبية والغذائية، وهي مواد تستخدم كمواد للجميل مثل الزنجبيل (العود لبض)، و الفلفل الأسود، و القرفة⁽³⁾. وهي غالية الثمن يقبل عليها تجار توات لكونها مطلوبة جدا و مفضلة في الأسواق المحلية و تصدر إلى أوروبا عن طريق موانئ الشرق الجزائري بعد مرورها على سوق ورجلان.

- ريش النعام وبيض النعام: يجلب من الأسواق السودانية بيض النعام على شكل صورتين، إما فارغا من الملح و مغلف في بعض أجزائه بالجد و ريش النعام، و يستعمل في تزيين المنازل، أو بيضة في شكلها الطبيعي تستعمل في تحضير العقاقير لمعالجة بعض الأمراض مثل البرد و الروماتيزم، و يمكن توقع ربحا صافيا مائتي فرنك عن كل نعامة سنويا⁽⁴⁾. وبلغ حجم تجارة ريش النعام في منتصف القرن 13هـ / 19م حوالي 25 مليون فرنك سنويا⁽⁵⁾.

1 - عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسكيين، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1971م، ص 223.

2 - المختار ولد حامد: التاريخ السياسي (موسوعة حياة موريتانيا)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص 85.

3- مختار حساني، المرجع السابق، ص 200.

4 - رولفس غيرهارد: رحلة إلى الكفرة تقارير الرحالة الألماني رولفس، تر. عماد الدين غانم، منشورات مركز جاهد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، 2000م، ص 266.

5 - المرجع نفسه، ص 266.

- الفول السوداني: يعرف محليا (بالكاكاو) ينتج بكميات كبيرة بسبب ملائمة الظروف المناخية لزراعته، يقبل على شرائه التجار من شمال إفريقيا بما فيهم تجار توات⁽¹⁾.

- الصمغ: هو مادة نباتية تستخرج من أشجار الصمغ و يستعمل في عدة مجالات مثل صناعة الحبر والدواء، و يستعمل في العقاقير الطبية. و ينقسم إلى قسمين الصمغ الأشقر، والصمغ البني. يتم جنيه بين شهري نوفمبر وماي⁽²⁾.

ب- صادرات إقليم توات إلى السودان الغربي:

- التمر: يعتبر من السلع التي يكثر عليها الطلب في منطقة السودان الغربي لافتقار المنطقة من أشجار النخيل، ولأهمية التمر عند سكان السودان الغربي لكونه غذاء كامل مع الحليب يصلح حفظه ويستعملونه كمادة أساسية في غذائهم اليومي، فتجتمع القوافل التي تأتي بتمر وادي ريغ و ورجلان، ووادي سوف ثم تصدره إلى السودان الغربي، وأكثر الأنواع طلبا هي الأنواع التي لها القدرة على البقاء أطول مدة مثل (تمر تقازة) و (تمر تناصر) من توات⁽³⁾. والدقلة من ورجلان و وادي ريغ، و قد كانت قوافل الجمال تقوم بتكسير التمر ونزع منه النوى و يوضع

1 - مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية الاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، المرجع السابق، ص362.

2 - Augustin (Hacquard): Monographie de Tombouctou accompagnée de nombreuses illustrations et d'une carte de la région de Tombouctou, société des études coloniales et maritimes, paris, 1900, p 23.

3 - مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، المرجع السابق، ص366.

في أكياس من الجلد تسمى (الغراير) لكي يكون خفيف الحمل و يمكن أن يحمل منه أكبر كمية ممكنة على ظهر الجمل⁽¹⁾.

-الملح: اعتبرت من السلع الرئيسية التي احتلت مكانة هامة في تنشيط عملية التجارة بين توات والسودان الغربي، بحيث يستخرج الملح من السّباح المنتشرة بالإقليم التواتي، فيجدونه مختلطا بالتراب فيعزلونه منه وأشهر الملاحات بتوات ملاحه (فرسيق) التي تقع شرق اقسطن بمنطقة تديكلت، أما المصدر الأساسي فهي منطقة تاودني بمنطقة الأزواد، فيها تتوجه القوافل الكنتية مرتين في السنة، و كانت القوافل عندما تصل إلى تاودني من الشمال يقايضون ما قَدِموا به من السلع والمواد الغذائية خاصة التمر مقابل ألواح الملح التي يصل طولها إلى متر و ثلاثين سنتيم ، وعرضها ما بين أربعين إلى خمسين سنتيم وتزن في المتوسط العام 30 كيلو غرام وعادة ما تحمل الجمال أربعة ألواح فإذا كانت مكتراة فاللوحة الرابعة تعطى للمكثري⁽²⁾.

كان الملح معدوما في داخل السودان الغربي لذلك كانت القوافل القادمة من الشمال خاصة التي تمر من توات يجلبونه، لأن تناوله بانتظام من ضروريات البقاء، والحرمان منه مشكلة خاصة في المناطق الحارة⁽³⁾. وارتبط الملح بالذهب ارتباطا وثيقا، لكن هذا الارتباط لا يعني وجودهما في مكان واحد أو قريهما، بل راجع إلى أن الملح كان السلعة التي يتلفه ويقبل عليها السودانيون المتجنون

1 - أحمد ذكار: المرجع السابق، ص 110.

2 - محمد الصالح حوتية: توات و الأزواد خلال القرنين 12 و 13 هـ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج 1 ، 2007م. ، ص ص 97، 98.

3 - أ.ج. هوبكنز: التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية. تق، محمد عبد الغني سعودي، تر. أحمد فؤاد بليغ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1998م، ص 323.

للذهب، والذي يدفعونه للحصول على الملح⁽¹⁾. حيث ذكر ابن بطوطة: أن أهل بلاد السودان الغربي يتصارفون بالذهب والفضة⁽²⁾. وذلك لأن الملح يستخدم في تخفيف الطعام والمحافظة عليه، فضلا عن إعطائه مذاق خاصا، ولم يكن في الإمكان الحصول على الملح جنوب الصحراء إلا بعملية شاقة أي تقطير الحشائش، ومن ثم ظهرت أهمية الملح في الصحراء، وبلغت لدى السودانيين درجة كبيرة تقدر فيها قيمة الذهب بقوته الشرائية للملح ولم تكن رواسب الملح الطبيعية في السودان الغربي فحسب، بل كانت مركزة في مساحات صغيرة فكان لابد من الحصول عليه خارج الإقليم⁽³⁾.

- الشاي والسكر: زاد الإقبال على شراء الشاي والسكر نتيجة انتشار تناوله في المدن و البوادي، و كان يباع السكر مع الشاي مجتمعان، إضافة إلى الفوائد الكبيرة للشاي خاصة في المناطق الحارة. فكانت مادة الشاي والسكر تأتي لأسواق توات من عدة مناطق سواء من أسواق المغرب الأقصى أو أسواق الشمال الجزائري أو من غدامس، و حتى القهوة كانت تصل إلى توات من هذه المناطق، و هذا ما أثار دهشة المستكشف رولف عندما رأى القهوة في تديكلت بعين صالح و ذكر أنها ترد إلى عين صالح من غدامس و من أسواق توات تصدر الشاي و السكر إلى السودان الغربي و قد أفتى علماء الأزواد بجواز بيع السكر و الشاي مجتمعان⁽⁴⁾.

1 - حسن الصادقي: أضواء على ممالك غرب إفريقيا وعلاقتها ببلاد المغرب، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، ص 87.

2 - ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 674.

3 - محمد عبد الغني سعودي: قضايا إفريقية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1980م، ص 65.

4 - باي بن عمر: نوازل الشيخ باي بن عمر الكنتي، مخطوط بمكتبة الشيخ محمد باي بلعالم، أولف، أدرار، الجزائر، الورقة 472و.

- **الأبسطة والأقمشة:** اشتهرت منطقة توات بصناعة النسيج أو الأبسطة المعروفة بالدُّكالي⁽¹⁾. فكانت أبسطة الدُّكالي ترى رواجاً كبيراً في أسواق السودان الغربي، بحيث يعتبر امتلاك الدُّكالي التواتي في تنبكتو مظهراً من مظاهر الترف و الثراء، و قد دلت نوازل البلبالي على وصول أبسطة الدُّكالي إلى أسواق السودان الغربي فجاء في النازلة: "وسئل عن رجل له أكسية بعثها مع آخر لبيعها له في بلد لمبروك ثم أن المرسل إليه باعها لأجل وتوفي المشتري..."⁽²⁾.

إضافة إلى الأبسطة والأقمشة الصوفية المحلية التواتية كانت القوافل تحمل معها بعض الأقمشة المستوردة من أوروبا وخاصة قماش النيلة وهو قماش أسود يصبغ جلد لايسه بلونه، وتلبسه النساء كلحاف و يستعمله الرجال كعمائم، و اسمه مشتق من الشجر يصبغ من ورقه اسمه النيل. و اعتبرت النيلة حسب الأوروبيين أوراق الصحراء النقدية نظراً لكثرة الإقبال عليها، وكانت وحدة القياس هي "البَيْصَة" من أصل فرنسي و هو (Pièce) حيث بلغ سعر البيصة خلال القرن التاسع عشر 19م عدائل من الملح في المعجل، و ثلاثة عشر إلى أربعة عشر في المؤجل⁽³⁾.

- **التبغ:** بالرغم أن التبغ أو (الشمة) كان يزرع في السودان الغربي، إلا أنه كان الإقبال كثيراً على التبغ القادم من توات لأنه يختلف عن تبغ السودان الغربي، ويعتبرونها أجود من التبغ الذي يزرع في أرض السودان الغربي لذلك كانت

1 - Martin (A.G.P) : Les Oasis Sahariennes, Gourara-Touat-Tidikelt, Edition de l'imprimerie algérienne, Alger , 1908, p 322.

2 - عبد العزيز بن محمد البلبالي: غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل، مخطوط بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم بأولف، أدرار، الجزائر، المصدر السابق، الورقة 338و.

3 - مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، المرجع السابق، ص 365.

القوافل التجارية تحمله على ظهر الجمال في الشباك الذي يصنع من ليف النخيل كمحافظ خاصة لحملة التبغ⁽¹⁾.

- **الأدوات الحديدية:** كانت تصدر من توات إلى السودان الغربي مجموعة من الأدوات الحديدية ذات الاستعمال الواسع، حيث يصنع معظمها محليا من قبل الحدادين و منها: السكاكين، والسيوف، وأقفال المنازل، و الأجمة الخاصة بالأحصنة و الدواب⁽²⁾، وكذلك الفؤوس و المعاول و المناجل، و السروج والبنادق، و الدروع، و الخوذات، و السهام، الأقواس، والنشاب⁽³⁾.

- **بضائع الزينة و الرفاهية:** أغلبها كان يأتي من أوروبا إلى شمال إفريقيا ومنها إلى السودان الغربي مروراً بأسواق الصحراء مثل توات و ورجلان وأهمها: العطور، الإبر، الحلي، المرايا، الأواني الزجاجية، المرجان الأحمر، العقيق، الحرير، اللؤلؤ⁽⁴⁾.

- **الكتب والمخطوطات:** كانت الكتب من الواردات الهامة إلى بلاد السودان حيث كان يوجد في تنبكتو سوق رائجة للمخطوطات العربية التي تأتي من بلاد المغرب⁽⁵⁾ ومصر، وكانت أثمانها مرتفعة خاصة في عهد مملكة السنغاي (1493-1591م) نتيجة ازدهار العلوم التي تدرس في مدارسها، فأثمنها في تنبكتو تزيد عن

1 - Devors (P): le Touat étude géographique et médical, archives du institut pasteur, TXXV N0 3,4 , Alger, 1947, p 233.

2 - أحمد ذكار: المرجع السابق، ص 120.

3 - المرجع نفسه، ص 121.

4 - جعفري مبارك: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، المرجع السابق، ص 367.

5 - الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط 1، 2002م، ص 330.

أثمانها في المغرب بالضعف و نصف الضعف تقريبا⁽¹⁾، فقد كانت الكتب تحمل إلى تبكتو ثم تنسخ وتباع في أسواق المدينة، و كانت تلقى إقبالا كبيرا من الطلبة المنشغلين بالعلم والسلاطين و الأمراء. فقد كان العلماء من المغرب العربي سواء من طرابلس أو الجزائر و توات وتلمسان و فاس و مكناس و مراكش يرحلون إلى المدن السودانية للتدريس، ونشر الثقافة الإسلامية حاملين معهم الكتب المخطوطة، و من أشهر العلماء التواتيين الوافدين إلى السودان محمد بن عبد الكريم المغيلي⁽²⁾.

3- العملة و أدوات القياس و المكايل و الموازين.

أ- العملة:

لم يكن التعامل بالعملة أمرا شائعا في التجارة بين توات و السودان الغربي، حتى بداية القرن العشرين 20م، ومعظم التعامل كان يتم بالمقايضة بالملح، والذهب، والتمر، والودع، وقماش النيل المعروف بالبيصة، والأنعام. ولكون منطقة توات و السودان الغربي منطقة تجارية مفتوحة مع عدم وجود سلطة مركزية تسعى إلى صك العملة وتحديد قيمتها، نجد في التبادل التجاري بين توات و السودان الغربي مجموعة من العملات تأتي من المناطق المجاورة، أو حتى من مناطق بعيدة، وهو ما شجع على المقايضة واستعمال مواد محددة كعملة للتبادل، و ظهور تجار العملة الذين يستبدلون العملات، و من أهم العملات نجد:

- المثلقال من الذهب: كان المثلقال الذهبي عملة رائجة في الأسواق التجارية؛ حيث ذكر مارتان (Martin) أن المثلقال المستعمل في توات مقداره

1 - زبادة عبد القادر: الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات نصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989م، ص 36.

2 - يحيى بو عزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 47.

4,50 غ⁽¹⁾، حيث يساوي 24 قيراط و كل قيراط يساوي حبة من الخروب أو أربع حبات من القمح، و البعض يرى أن الميثقال يعادل الدينار الذهبي الذي مقداره 4,25 غراما و قدّر بارث (Barth) قيمة الميثقال في تنبكتو منتصف القرن 19 بين ثلاثة آلاف و أربعة آلاف كوري⁽²⁾. أما لانز (Lenz) فقال أن الميثقال في تنبكتو يعادل ثلاثة آلاف و أربعة آلاف ودعة، أما سعره في الميثقال أروان يساوي 8 إلى 10 فرنكات و في تنبكتو يساوي ما بين 10 إلى 12 فرنك⁽³⁾. ويتعامل بالميثقال أيضا في المغرب الأقصى حيث أن الرحالة العياشي تعامل بالميثقال الأربعيني الشريف المضروب في سجلماصة عند زيارته إلى منطقة توات 1074هـ/1663م⁽⁴⁾. وما يدل على استعمال الميثقال الذهبي في التجارة بين توات والسودان نازلة شراء سلعة بكذا ذهباً استرضى صاحبها أن يقبض ثمنها في منطقة التكرور في أجل معين، فقبضها فيه بعد حلول الأجل فأفتى بجواز ذلك مستدلاً في أجابته بمدونة سحنون⁽⁵⁾. كما ذكر ديپورتر (Deporter) أن القافلة التي كانت تتجه من عين صالح إلى تنبكتو، كان أصحابها يقومون بكراء حوانيت بالميثقال الذهبي⁽⁶⁾.

1 – Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, p 19.

2 – عبد العزيز بن عبد الله: الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارية (معلمة الصحراء)، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1976م، ص 177.

3 – Oskar (lenz): Tombouctou voyage au Maroc au Sahara et soudan, librairie Hachette, Paris, 1987, pp 103, 156.

4 – أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية ماء الموائد، تح. سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، دار السويدي للنشر و التوزيع، أبوظبي، ج 1، 2006م، ص 465.

5 – هرياش زاجية: الوضع الاقتصادي في توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين 12 و 13 الهجريين 18 و 19 الميلاديين، أطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، 1432-1433هـ/2011-2012م، ص 297.

6 – Deporter: Op.cit, p 175.

- الريال: هو قطعة اسبانية وزن 25 غرام، ويوجد الريال الفرنسي و هو يزن نفس الوزن و هو قطعة من 5 فرنكات، وتوجد أيضا عملة عثمانية منها الريال بوجو و المسمى بريال صغير يتراوح وزنها ما بين 8,5غ إلى 20,2غ و تقسم إلى 8 موزونات، يذكر كولونيو (Colonieu) أن الريال في منطقة تديكلت قيمته 6 أوقيات أو 24 موزونة وأقسامه هي الربع أو (الرَبَّيع) الذي يساوي 6 موزونات وهذا يدل على حيوية السوق بتوات لصرف العملة⁽¹⁾.

وُجد الريال أيضا في أسواق السودان الغربي، خاصة الريال العثماني، الذي كان يصنع من الفضة ويضرب دار السكة في كل من تونس وليبيا والجزائر وانتقلت هذه العملة من الشمال إلى أسواق السودان الغربي عن طريق القوافل التجارية العابرة للصحراء⁽²⁾.

- المحبوب (الدينار السلطاني): كان من العملات المتداولة كما جاء في الرسائل للشيخ المختار الكنتي⁽³⁾، وكان يعرف أيضا بالدينار الذهبي، ويعد السلطان العثماني سليم الأول هو الذي صك هذه العملة الذهبية سنة 923هـ/ 1517م و كتب عليها كلمة (السلطان) لهذا عرف بالدينار السلطاني وأطلق عليه أيضا اسم المحبوب ، وكانت له أجزاء مقدرة بالنصف والربع و يزن المحبوب

1 - Colonieu (Commandant): voyage au Gourara et l'Aougurout 1860, Bulletin de la société de géographie d'Oran, TIIIX, 1903, p 62.

2 - عثمان حساني: البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين 18 و 19م، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص 107م.

3 - محمد بن المختار الكنتي: الطرائف و التلائد، مخطوط بمكتبة الشيخ محمد باي بلعالم، أولف، أدرار، الجزائر. ، الورقة: 422 و.

2,31 جرام من الذهب و كان يساوي خمس 5 فرنكات فرنسية و يساوي في الجزائر 11 فرنك⁽¹⁾.

- الودع أو الصدف: هي عبارة عن قواقع أو ودعات تعرف بالكوري (Cauris)⁽²⁾. تنمو في البحار الحارة جلبها العرب من المحيط الهندي عن طريق البرتغاليين، صرفها في تنبكتو يساوي الآلاف فكل 4000 آلاف كوري يقابلها واحد من الذهب أو الفضة أو من قطعة من 5 فرنكات أو من الضّبنون أو من 5 قطع فضية.

كانت تستعمل في المعاملات التجارية بالنسبة للسودان الغربي، كعملة و لقد فقدت مكانتها في منطقة توات، فالسودانيون كانوا يستخدمونها مع التواتيين كوسيلة نقد يتقبلونها منهم في معاملاتهم، حتى وإن لم تكن جارية في بلادهم كعملة إلا أنهم كانوا يلجؤون إليها مع التجار السودانيين عند انتقال قوافلهم إلى السودان الغربي، مما يسهل عليهم عملية التبادل التجاري⁽³⁾. و لقد ورد ذكرها في نازلة سُئل فيها الحاج محمد بن أب الذي كانت لديه بضائع أوكلها إلى شريكه محمد بن بكار لبيعها في السودان الغربي و يرسل إليه أثمانها التي كانت من الذهب والودع والملح⁽⁴⁾.

1 - عثمان حساني: المرجع السابق، ص 107.

2 - الكوري: عملة فارسية وهندية، قيمتها منخفضة جدا، بحيث أن 1000 كوري يساوي 0,75 فرنك، ينظر: يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 219.

3 - Lo (capitaine): Les Foggaras du Tidikelt, travaux de institue de recherche saharienne, T.X 1953, et TXI 1954, université d'Alger, p 150.

4 - البلبالي: المصدر السابق، الورقة 318 و.

- الملح: عملة الملح المغربي الذي يقطع إلى قطع صغيرة مختلفة الأحجام و الأشكال تستغل في البيع والشراء، فهناك قطع تساوي 20 دوخة أو 160 فرنك، و قطع تساوي 30 دوخة أو أربعين فرنك، و قطع تساوي 40 دوخة أو 320 فرنك و تساوي حمولة الملح في تنبكتو 80 دوخة على عهد الحسن الوزان⁽¹⁾. وكانت الملح تستعمل في شراء العبيد أيضا حيث كان يباع بقطعة ملح بقدر رجليه، ثم ارتفع سعره ليصل إلى حمل بعير من الملح⁽²⁾.

وتحسب الملح بالعديلة، ولم تستعمل هذه الكلمة عند الجغرافيين كالبركري وابن بطوطة، بل استعملت كلمة الأحجار أو الألواح و ورد ذكرها في نوازل الغنية للبلبالي في منطقة توات⁽³⁾، وفي قرية المبروك في السودان الغربي جرت العادة باستعمال الملح كعملة حيث تشتري السلع بعدد أحجار الملح لكل مثقال حجر⁽⁴⁾. وأوردت نوازل البلبالي فتوى للتجار التواتيين الذين يتعاملون بالملح، فسأل أحدهم على أنه اشترى سلعة بعدد من أحجار الملح وما تبقى له حسب النازلة، تم دفعه بالذهب في قرية المبروك فأجابه البلبالي بأنه لا يجوز⁽⁵⁾. وفي نازلة أخرى تمنع رد دين بغيره إلا إذا عزّ وجوده، وهو ما يدفع المدين إلى تعويض قيمته بالذهب⁽⁶⁾.

1 - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص ص 48-49.

2 - أحمد ذكار: المرجع السابق، ص 107.

3 - زاجية هرياش: المرجع السابق، ص 317.

4 - المرجع نفسه، ص 317.

5 - البلبالي: المصدر السابق، الورقة 154 و، 156 و.

6 - المصدر نفسه، الورقة 206 و.

- العملة النحاسية السلطانية: وهي ذات قيمة منخفضة جدا بحيث أن 400 قطعة رقيقة منها لا تساوي سوى دوخة واحدة⁽¹⁾. وهي أيضا عملة عثمانية كانت مصنوعة من النحاس و بها ختم السلطان⁽²⁾.
- العملة الورقية الفرنسية: ورد ذكرها في المصادر بعدة تسميات ذكر الشيخ باي الكتتي بأنها قراطيس يكتب فيها جعلتها فرنسا و سميت (بالكارطة) أيضا، فوقع خلاف بين العلماء هل يجوز بها سائر المعاملات الدنية أم لا كالاقتراض، و الزكاة⁽³⁾.

كما توجد عملات أخرى متداولة بين توات والسودان الغربي مثل:

- الدوخة بنوعها الذهبية و الفضية.
 - الدراخمة: وهي عملة مستوردة من الخارج من طرف التجار.
 - المجيدي: و يساوي 4,5 فرنك.
 - المحبوب الذهبي: الشائع الاستعمال في بلدان المغرب العربي.
 - الموزونة الفضية: الشائعة الاستعمال في بلدان المغرب العربي.
 - الصائمة النحاسية: الشائعة الاستعمال في بلدان المغرب العربي.
 - الدورو الفضي: الشائع الاستعمال في بلدان المغرب العربي.
 - البنتو وهي عملة أجنبية مستوردة من الخارج⁽⁴⁾.
- أورد كوداري (Coudray) عن أسعار السلع و البضائع أن الحصان الجيد الذي يساوي 30 دوخة في الشمال (240 فرنك) ، يباع في السودان بعدد 17

-
- 1 - يحي بو عزيز: المرجع السابق، ص 48.
 - 2 - مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م ، المرجع السابق، ص 377.
 - 3 - مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م ، المرجع السابق، ص 377. ينظر: باي بن عمر: المصدر السابق، الورقة، 284 و/ظ.
 - 4 - يحي بو عزيز: المرجع السابق، ص 49.

عبدا أسودا، كما ذكر أن سعر العبد الذكر 20 دوخة و سعر الأنثى 18 دوخة و سعر الخصي 40 دوخة⁽¹⁾.

وأورد المؤرخ يحيى بوعزيز نقلا عن الرحالة بوزو (Bozzo) أن البضائع تشتري في السودان الغربي بالأسعار التالية:

- العاج: من 200 إلى 220 ألف كوري للقنطار الطرابلسي (50 كلغ) وهو ما يعادل 200 إلى 220 فرنك.

- ريش النعام: من 50 إلى 60 ألف كوري للكيلو غرام، أو 560 إلى 60 فرنك.

- تبر الذهب: من 07 إلى 08 آلاف كوري للمثقال.

- العبد الذكر من 120 إلى 130 ألف كوري أي 130 فرنك.

- الأمانة: من 150 إلى 200 ألف كوري أي 150 إلى 200 فرنك⁽²⁾.

تدفع القوافل القادمة من توات إلى تنبكتو ما بين 12 و 24 مثقال ذهب لحمولة 3 قناطر، أو 45 محبوب لحمولة 70 قطعة قماش تزن ثلاثة قناطر، وهو ما يعادل 1900 فرنك ويتم الدفع على الشكل التالي:

من توات إلى تنبكتو يدفع التجار 5 محبوبات لتوارق الهقار و 10 محبوبات أو نصف مثقال لعرب البرابيش و بذلك فان حمولة 150 كلغ من توات إلى تنبكتو تكلف 380 فرنك. أي 250 فرنك لمائة كلغ.

و يدفع التجار الضرائب في الذهب والإياب على الشكل التالي:

- في غات خلال الذهب 1 مجيدي للحمولة (4,5 فرنك)، و خلال العودة 2 مجيدي (9 فرنك).

1 - Henri (stuchli), Le commerce de la France avec le soudan, calomel, paris, 1864, pp 21- 28.

2 - يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 51.

- في أقاديس 20 فرنك للحمولة. وفي كانو خلال الذهاب 25 فرنك للحمولة، وخلال العودة 20 فرنك.
- في زندر خلال العودة: العاج و ريش النعام و 20 فرنك للحمولة، و خلال الذهاب 10 فرنك⁽¹⁾.

ب-المكايل والأوزان:

- المُد: المقدر بحفنة باليدين المتوسطتين يستعمله التجار و العامة عند كيل المواد الجافة، كالتمر والحبوب ويكثر استعماله عند إخراج الزكاة صبيحة عيد الفطر، ويختلف من منطقة إلى أخرى و هو عند الجمهور حوالي خمسمائة و عشر غرامات⁽²⁾.
- الصّاع: يساوي أربعة أمداد⁽³⁾.
- القَصْعة: استعملت في إقليم توات والسودان الغربي وهي وحدة لكيل الحبوب والتمر وتعادل 2,5 كلغ⁽⁴⁾.
- المزوّد: جلد من الغنم أو البقر يعادل خمسين أو ثمانين كيلوغرام حسب المادة أي ما يستطيع أن يحمله الرجل أو العبد فوق ظهره⁽⁵⁾.
- الحِمل: يعادل ستون صاعا⁽⁶⁾.

1 - المرجع نفسه، ص 53.

2 - علي جمعة محمد: المكايل و الموازين الشرعية، مطبعة القدس، القاهرة، ط2، 2001 م، ص 36.

3 - Augustin (Hacquard): Op.cit, p 57.

4 - خير الدين شترة: العلاقات الاقتصادية بين توات والسودان الغربي، الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار و تيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحوضر المغرب الإسلامي، ادرار، 14-15 أفريل 2009م، ص 314.

5 - محمد الصالح حوتية: آل كتته، المرجع السابق، ص 101.

6 - المرجع نفسه، ص 101.

- أزقن : و هو إناء صغير من الخشب أو الحديد يتم به الوزن و هي تعادل 205 لتر أي ما يعادل 2 كلغ، ويستعمل لوزن الحبوب⁽¹⁾ في السودان الغربي، و تتغير قيمته في منطقة توات حيث أشار فوانو (Voinot) أنه تحدد في منطقة أقيلي بـ: 0,360 كلغ و في أولف 0,175 كلغ و بعين صالح 0,250 كلغ⁽²⁾.

- العديلة: و هي قطعة من الملح تختلف في وزنها و حجمها، حيث يذكر بارث (Barth) أن وزنها بين خمسين و خمسة وستين كيلو غرام، و طولها خمسة أقدام وخمسة بوصات 1,5م، وعرضها 13 بوصة 33 سم، وسمكها بوصتين ونصف 6,35 سم، أما لانز (Lenz) فقال أن طولها متر و وزن المتوسط منها تقريبا سبعة و عشرين كلغ 27 كلغ، أما اوغستين (Augustin) فذكر أن طول عدائل الملح 1,3م وعرضها بين 54 سم وسمكها بين 4 و 5 سم، و وزنها حوالي 30 كلغ و ثمنها بين 15 و 35 فرنك حسب جودتها، ومن هنا يمكننا القول أن العديلة ليس لها مقياس محدد و أنها تختلف حسب نوعية الملح، فهناك الكبيرة والمتوسطة والصغيرة ولم تعد العديلة تستخدم للملح فقط ففي توات مثلا تستخدم كوحدة لقياس التبغ و متوسط وزنها بين 60 و 80 كلغ⁽³⁾.

- الغرارة: هي أكياس تصنع من الوبر و الصوف أو من ليف النخيل مختلفة الأحجام، الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، يحمل منه الجمل من اثنين إلى أربعة، تستخدم في نقل البضائع مثل الحبوب والتمر، والفواكه المختلفة، والغرارة المتوسطة تساوي 35 زقن أي 70 كلغ تقريبا، أما الكبيرة فتحمل 30 صاعا فتزن قنطار و 25 كيلو غرام، و غرارتين هي حمل جمل و يبلغ حوالي قنطار ونصف⁽⁴⁾.

1 - محمد أعفيف: المرجع السابق، ص 363.

2 - Voinot: Op.cit, p 144.

3 - مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، المرجع السابق، ص 381-382. ينظر: الملحق رقم 03.

4 - أحمد ذكار: المرجع السابق، ص 109. محمد أعفيف: المرجع السابق، ص 138.

- المثقال: وحدة يقاس بها الذهب و الفضة يساوي 24 حبة من الخروب و كل حبة ترن 4 حبات من القمح، و يقدر وزنه تقريبا 4,5 غرام و هذه الوحدة لها نفس القيمة في توات و السودان الغربي حيث وجدت في قاو قطعة من الزجاج كانت هي وزن المثقال قدر وزنها بحوالي 4,5 غرام⁽¹⁾. و عبر مارتان (Martin) على ميزان من نحاس يمتلكه نقيب أشراف تيمي تحدد به نسبة التبر المستعمل في توات والمقدر ب 4,50غ⁽²⁾.

- القيراط: يقاس به الذهب و الفضة حيث يساوي 3 حبات من القمح و هو 24/1 من المثقال ويستعمل أيضا لقياس المياه و خاصة في منطقة توات⁽³⁾.

ج- أدوات القياس:

- الشبر: وهو المسافة بين الخنصر والإبهام عندما تكون اليد مفتوحة، وهو يعادل 21,5 سم

- القدم: لقياس الأرض و تحسب قدما بعد أخرى و تستخدم لمعرفة وقت الزوال.

- الذراع: وهو وحدة الطول ويحدد الذراع ما بين المرفق ونهاية الوسطى، ويساوي 50 سم في المتوسط، ويصل في السودان الغربي إلى 55 سم.

- القامة: فهي قامة الرّجل المتوسط و تساوي في 170 سم.

- الحبل: مسافة 1920 متر.

- الفرسخ: تعادل ثلاثة أميال، أي ستة كيلومترات⁽⁴⁾.

1 - عبد القادر زبادية: الحضارة العربية، المرجع السابق، ص 54.

2 - زاجية هرباش: المرجع السابق، ص 327.

3 - Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, p 19.

4 - الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص 338.

- البريد: وهي وحدة قياس طويلة، ويحدد طوله بسرعة حصان لمدة ساعة من الزمن دون انقطاع، و قدر بمسافة 12 ميل أو أربعة فراسخ أي 24 كيلومتر⁽¹⁾.

- البيصة: وحدة لقياس القماش تساوي ثلاثين ذراعا من الكتان خمسة عشر متر⁽²⁾.

ومما تقدّم يمكن القول، بأن إقليم توات كان همزة وصل وملتقى طرق القوافل التجارية القادمة من بلاد المغرب والمتجهة إلى أسواق إفريقيا جنوب الصحراء عامة .

كما نلاحظ تعدد المسالك التي تربط توات بالسودان الغربي، وتُغيّر القوافل سيرها من طريق إلى آخر بسبب توفر الماء والكلأ، وبسبب الأمن من قطاع الطرق، ويمثل الملح والتمر والتبغ أعلى نسبة في الصادرات التواتية كما يمثل الذهب والعييد أعلى نسبة الواردات التواتية من السودان الغربي.

كما كان أسلوب المقايضة هو الغالب في التعامل التجاري، مع وجود عملات كثيرة محلية وأجنبية، معظمها مشتركة بين إقليمي توات والسودان الغربي إلا عملة الملح والودع، فلم نعثر على استعمالها كعملة في توات، مع استعمالها في أسواق السودان الغربي. ونتج عن هذا التواصل التجاري المزدهر بين إقليم توات والسودان الغربي آثار ونتائج اجتماعية، وثقافية واضحة زادت من قوة ودعم هذا التواصل بين الإقليمين.

1 - عبد القادر زبادة: الحضارة العربية، المرجع السابق، ص 199.

2 - مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية والاقتصادية بمنطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، المرجع السابق، ص ص 383.